



ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: www.jtuh.org/**NASEER ABDULHAY MOHAMMED**the department of Arabic language college of
Arts Tikrit University* Corresponding author: E-mail :
naseer.abulhay@tu.edu.iq
07705168055**Keywords:**Tajaliyati
Madamina
Tarathi
Tarikha
Bakr**ARTICLE INFO****Article history:**

Received	1 Sept 2024
Received in revised form	25 Nov 2024
Accepted	2 Dec 2024
Final Proofreading	2 Mar 2025
Available online	3 Mar 2025

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER
THE CC BY LICENSE<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>

Manifestations of Historical Heritage in Bakr bin Al-Natah's Poetry

A B S T R A C T

The historical heritage serves as a crucial component of literary imagery and plays a significant role in the creative literary experience. This study focuses on this fundamental aspect by exploring the historical heritage reflected in the poetry of the Abbasid poet Bakr bin Al-Natah, who expressed a unique homage and appreciation for figures such as Abu Dalaf and others. To identify the historical contents, it is essential to examine the relationship between the influencer and the affected, revealing how these contents were inspired by and derived from specific sources that benefited the poet. It has become evident that the historical source, along with its tools, serves as the primary foundation of his heritage, enriching his poetry. This is clearly demonstrated in his work, which reflects his cultural background and his deep understanding of the contributions of others.

© 2024 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit
UniversityDOI: <http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.1.2025.06>

تجليات المضامين التراثية التاريخية في شعر بكر بن النطاح

نصير عبدالحى محمد عبدالرحمن / كلية الآداب - جامعة تكريت

الخلاصة:

للمضامين التراثية وما تشتمل عليه تعد من أهم مكونات الصورة الأدبية، وتعد أيضاً عنصراً مهماً من عناصر التجربة الأدبية الإبداعية، وموضع الدراسة ينطوي على المكون الأساس لها، من خلال هذا البحث حاولت تقصي ما للتراث التاريخي من آثار في شعر الشاعر العباسي - بكر بن النطاح - الذي انحاز فيه إلى شخصية أبي دلف وآخرين وحمل لهم إجلالاً وتقديراً خاصين، والتعرف على المضامين التاريخية من

خلال تحديد العلاقة بين المؤثر والمتأثر، والكشف عن الكيفية التي تمت بها استلهاهم هذه المضامين والنهل من معينها التي أفاد منها الشاعر، إذ تبين أن المصدر التاريخي بأدواته هو المصدر الرئيسي لتراثه، وإغناء شعره، وقد ظهر ذلك جلياً وبشكل واضح في نتاجه، مما دل ذلك على مخزونه الثقافي، وسعة اطلاعه على نتاج الآخرين.

الكلمات المفتاحية: تجليات, مضامين, تراث, تاريخ, بكر, النطاح

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الأمي الأمين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد.

نجد الشاعر بكر بن النطاح من شعراء العصر العباسي الذين انصرفوا إلى قصائد المدح وظهر ذلك جلياً في أغلب قصائده وخاصة شخصية ابي دلف، وقد استعان في تقوية نصوصه الإبداعية بالمضامين التراثية التاريخية والنهل من معينها لتعزز نصه الشعري، ومن هنا جاء بحثنا الموسوم (تجليات المضامين التراثية التاريخية في شعر بكر بن النطاح) للكشف عن تداعياته الذاتية اتجاه الآخر وسبب النهل من معين التأريخ من خلال تجربته الشعرية ، ولذلك قسمتُ ورقتي البحثية إلى تمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وعلى النحو الآتي.

التمهيد: وقفت فيه على تعاريف موضوع الدراسة ثم نبذة مختصرة عن حياة الشاعر .

المبحث الأول: فقد سلطنا الضوء على استدعاء القبائل.

المبحث الثاني: تناولنا فيه استدعاء الشخصيات التاريخية.

المبحث الثالث: فقد وقفنا فيه على المكان التاريخي وكان في محورين الأول: الأماكن التاريخية الدينية، والثاني: الأماكن الحربية.

وانهيت البحث بخاتمة استعرضت فيها أبرز ما توصلت إليه من نتائج، قبل استعراض المصادر والمراجع والرسائل التي اعتمدتها وأفدت منها في موضوع الدراسة.

التمهيد

المضامين التراثية التاريخية مدخل مفاهيمي

قبل الدخول إلى المضامين، لابد لنا من أن نعرف مفهومها من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة ونعطي تعريفاً خاصاً بها، فهو عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ((كُلُّ شَيْءٍ أَحْرَرَ فِيهِ شَيْءٌ فَقَدْ ضُمِّنَتْهُ))، (الفراهيدي، ج ٧، ص ٥١) أما عند ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) فهو ((جَعَلَ الشَّيْءَ فِي شَيْءٍ يَحْوِيهِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: ضَمَّنْتُ [الشَّيْءَ] ، إِذَا جَعَلْتُهُ فِي وَعَائِهِ))، (أحمد، ١٩٧٩، ج ٣، ص ٣٧٢) أما عند ابن منظور (ت ٧١١هـ) جاء بمعنى الكفيل فيقول: ((ضَمِنَ الشَّيْءَ وَبِهِ ضَمْنًا وَضَمَانًا: كَفَلَ بِهِ. وَضَمَّنَهُ إِياه: كَفَّلَهُ)) (الأنصاري، ١٤١٤هـ، ج ١٣، ص ٢٥٧)، أما عند الرازي (ت: ٦٦٦هـ) فقد اعطاه مفهوم أكثر توضيحاً فهو يشمل الشعر والكتاب بقوله ((كُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتُهُ فِي وَعَاءٍ فَقَدْ ضَمَّنْتُهُ) إِياهُ. وَ (الْمُضَمَّنُ) مِنَ الشَّعْرِ مَا (ضَمَّنْتُهُ) بَيْتًا. وَ (الْمُضَمَّنُ) مِنَ الْبَيْتِ مَا لَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالَّذِي يَلِيهِ. وَفَهْمْتُ مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابُكَ أَيُّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ فِي ضِمْنِهِ))، (الرازي، ١٩٩٩م، ص ١٨٦) من خلال ما تقدم فقد أجمعت المعاجم العربية بأن المضمون هو الحاوي لشيء ما والكفيل له.

والمضمون اصطلاحاً، فقد جاءت أغلب تعريفاته قد انصبت من معين الفكر البشري، فقد عرفه مجدي وهبة بأنه: ((المعاني والخواطر التي ترمز لها بالألفاظ والصيغ الأدبية))، (مجدي، ١٩٧٤م، ص ٢٠٢) وعند الدكتور علي جواد الطاهر هو: ((الافكار والمعاني وما يكتنف الاثر من عواطف واخيلة وحالات نفسية وعقل))، (الطاهر، ١٩٦٢م، ص ٢٨) أما عند العشماوي ((هو كل ما يشتمل عليه العمل الأدبي من فكر أو فلسفة أو أخلاق أو اجتماع أو دين))، (العشماوي، ١٩٨٠م، ص ١٥٣)

ومدرسة المضمون ترى ((الفن كله مضموناً وحدوداً بما يتفق مع الأخلاق، وتارة بما يسمو بالإنسان إلى أعلى الفلسفة والدين، وتارة بما هو صادق في الواقع، وتارة بما هو جميل من الناحية الطبيعية المادية))، (العشماوي، ١٩٨٠م، ص ١٥٣) وكذلك أصر أصحاب المنهج الاجتماعي التقليدي على عدّه أساس عملية الإبداع الفني. ينظر: (عبدالملك، ٢٠٠٥م، ص ٣)

أما التراث في اللغة

إن المفهوم اللغوي (للتراث) ورد كثيراً في المعاجم اللغوية، فهي مشتقة من مصدر الفعل الثلاثي (وَرِثَ) ((الإيراث: الإبقاء للشيء.. يُورِثُ، أي: يُبقي ميراثاً))، (الفراهيدي، ج ٨، ص ٢٣٤) والميراث أصله ((مُورِثٌ، انقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها. والتراث أصل التاء فيه واو. تقول: ورثت أباي، وورثت الشيء من أبي))، (الفارابي، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٢٩٥) والوارث: ((صِفَةُ مَنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي يَرِثُ الْخَلَائِقَ، وَيَبْقَى بَعْدَ فَنَائِهِمْ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ أَيِ يَبْقَى بَعْدَ فَنَاءِ

الْكُلِّ، وَيُنْفَى مَنْ سِوَاهُ فَيَرْجِعُ مَا كَانَ مَلِكَ الْعِبَادِ إِلَيْهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ))، (الأنصاري، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ١٩٩) ويكون الورث في المال، وفي الحسب والنسب. ينظر: (الأنصاري، ١٤١٤هـ، ج ٢، ص ٢٠٠)

أما في معناه اصطلاحاً لم يقتصر على ورث المال والحسب بل هو: الورث ((الثقافي والفكري والديني والفني))، (الجابري، ١٩٩١، ص ٢٣) وهو أيضاً: ((ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون في شعب من الشعوب، وهو جزء أساس من قوامه الاجتماعي والانساني والسياسي والتاريخي والخلقي يوثق علاقته بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين التراث وأغناؤه)). (جبور، ١٩٧٩، ص ٦٣)

أما التَّأْرِيخُ فهو الوعاء والذي يحفظ هذا التراث ومضامينه على مدى السنين، وجاء تعريفه في اللغة هو: تعريف الوقت والناس وغيرهما، ينظر: (الرازي، ١٩٩٩م، ص ١٦، والأنصاري، ١٤١٤هـ، ج ٣، ص ٤، والزبيدي، ج ٧، ص ٢٢٦)، أما في المعنى الاصطلاحي هو: نحن بالأمس، وهو حاضرنا في ذلك الزمان، فهو إذن موجود فينا اليوم متحرك من حولنا، ويظل موجوداً متحركاً وجدلياً في الغد كذلك، ينظر: (البستاني)، وهو ((قوة ايجابية يمكن أن تسري في الحاضر لتوجهه وجهات أفضل من خلال الإحالة)). (عصفور، ١٩٨٢م، ص ٢٧٨)

والتراث التاريخي أخذ نصيباً من الحضور في نتاجات الشعراء وكانت معطياته باعاً يخدمهم فيما تتدعى به ذواتهم الشعرية ومحط انتقاء رويتهم الفنية التي ترسم آفاق الحاضر والمستقبل، ويعد مصدراً ثراً من مصادر الإلهام الشعري، (نصير، ٢٠٢٣م، ص ٧٤) الذي يعكس الشاعر من خلال ((الارتداد إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي وفق رؤية إنسانية معاصرة، فهو يكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وطموحاته وأخلاقه وهذا يعني إن الماضي يعيش في الحاضر ويرتبط معه بعلاقة جدلية تعتمد على التأثير والتأثر تجعل الشاعر يستلهم أوجه التشابه بين أحداث الماضي ووقائع العصر وظروفه سلباً أو إيجاباً))، (نور، ٢٠١٠م، ص ٢٢) فالتراث التاريخي ركيزة قوية لا يمكن التخلي عنها: لأنه يسجل مآثر الأمة ومثالبها وأحسابها ومفاخرها وشخصياتها... الخ، وهو ذاكرتها الحية التي تستمد منه كل القيم الأصيلة، لذا نجد الشعراء ينهلون من فيضها لأن استحضارها يعد نقطة أساسية في اغناء نتاجاتهم.

لذلك يبحث ابن النطاح على ما يخلد شعره ويمنحه الهوية القومية، لذلك يتجه إلى التراث التاريخي، الذي يحمل في طياته ((ماضياً عريقاً وقيماً مثلى تستحق الفخر والإعجاب بما أنجزته الأمة عبر الزمن الذي يؤكد حضورها بين الأمم العريقة))، (الجبوري، ١٤٣٣، ص ١٢٣) إذن فالمضامين التراثية التاريخ، تعد ((الرابط الوثيق الذي يصل حاضر الأمة بماضيها، والسجل الذي ينطق بمفاخرها ومآثرها التي تباهي بها الأمم، وتستند إليها في حفز عزائم بنيتها والهاتف الذي يذكرها بالآلام التي مرت بسابقتها)). (الجبوري، ١٤٣٣، ص ١٢٣)

بكر بن النطاح في سطور

هو شاعرٌ فارسٌ من الدولة العباسية من بني حنيفة، من أهل اليمامة، كنى بأبي وائل، ينظر: (البغدادي، ٢٠٠٢م، ج٧، ص٥٧٦، و الصفدي، ٢٠٠٠م، ج١٠، ص١٣٧، و الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٧١) وذكر أنه عجلي من بني سعد بن عجل محتجاً بقوله ينظر: (الأصبهاني، ج١٩، ص١١٣) من [الطويل]: (الضامن، ١٩٧٥م، صفحة ٣٣)

فإن يك جدّ القوم فهُر بن مالِك فجدّي عجل قَرَم بَكْر بن وائل

نَزَلَ ابنُ النطاحِ بغدادَ في زمن هارون الرشيد، وكان ((صعلوكاً يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك، وجعله أبو دلف من الجند وكان شجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشعر جيد التصرف فيه كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام))، (التبريزي، ج٢، ص٩٤) فقد اتصل بأبي دلف(*) وأخيه معقل ومال إليهما ومدحهما من جيد الشعر (التبريزي، ج٢، ص٩٤) في كثيراً من القصائد حتى شغل غرض المدح حيزاً كبيراً في شعره، ومن المعروف أن المديح من أهم الأغراض الشعرية الرئيسة في الشعر العربي قديماً وحديثاً، طرق بابهُ الكثير من شعراء العرب فلا يخلو ديوان شاعر منه، فقد قصده لإبراز ما يتوفر من سمات كريمة وحميدة للآخر الممدوح أو إضفاؤها عليه وهذا القسم لمن كان همه التكبسب أو التقرب من السلطة الحاكمة، وشاعرنا أحد هؤلاء الشعراء.

وعندما قرأت قصائد الشاعر وجدته قد أنصرف في أكثر أشعاره إلى مدح أبي دلف وشخصٍ أخرى وهو ينهل من معين التراث التاريخي؛ لتعزز صفات الممدوح وتجعل له حضوراً في كل مكان وزمان عبر الصور الآتية :

المبحث الأول: استدعاء القبائل:

كان العرب يفتخرون بالقبائل والأنساب ويصرون بالحفاظ عليها، ويهتمون بها ويعلمونها لأولادهم وأحفادهم من بعدهم ويقومون بحفظها في ذاكرتهم أو تسجيلها في صحفهم، ينظر: (أسماء، ١٤٣٣هـ، ص٦٠) وبهذا السياق قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): ((وللعرب حفظ الأنساب وما يعلم أحد من الأمم عني بحفظ النسب عناية العرب))، (القزويني، ١٩٩٧م، ص٤٣) وحينما ظهر الإسلام نجد ((أن مسار الاحتفاظ به بقي على حاله كما في عصر ما قبل الإسلام مع التخلي عن العصبية القبلية، فقد اتجه العرب المسلمون في

(*) أبو دلف العجلي (ت٢٢٦هـ): هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل، من بني عجل بن لجيم: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء. قلده الرشيد العباسي أعمال " الجبل " ثم كان من قادة جيش المأمون. (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٥، ص١٧٩)

الاعتزاز بنسب الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وخصت قبيلة بنو هاشم بالتعظيم والتكريم من بين القبائل وذلك لموقعها المكاني من جهة، ولكون ينتسب إليها مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مؤسس الدولة الإسلامية من جهة ثانية، واستمر الحال ذاته في الدولة الأموية والعباسية التي جاهدت وشددت على إبقاء هذا الأمر))، (نصير، ٢٠٢٣م، ص ٧٥) ونتيجة لذلك حاول شعراء العرب الحفاظ على الأنساب والإشادة بها وتخليدها في أشعارهم حتى أصبح لا يُذكر الشعر إلا ويُذكر العرب فهو ديوانهم وتُرجمان مفاخرهم وخزانة معارفهم، وفي هذا السياق قَالَ ابن فارس: ((والشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب، وعرفت المآثر))، (القرويني، ١٩٩٧م، ص ٢١٢) وقد ذكر الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) أَنَّ النَّسَبَ وحفظه علماً من علومها، بِقَوْلِهِ: ((علوم العرب: علم بديع الشعر، وبلاغة المنطق، وتشقيق اللفظ، وتعريب الكلام، وقيافة البشر، وقيافة الأثر، وصدق الحس، وصواب الحدس، وحفظ النسب، ومراعاة الحسب، وحفظ المناقب والمثالب...)) (الأصفهاني، ١٤٢٠هـ، ج ١، ص ١٩٣) فضلاً عن ذلك هو أحد معايير الانتماء القومي. (أسماء، ١٤٣٣هـ، ص ٦٠)

فالقبائل من المضامين التراثية بقيت متفاعلة والتي لم تنتشر عن التراث تاريخاً وفكراً، لذا أصبحت محط اهتمام الشعراء ونجدهم يفاخرون فيها ويمتدحون بها علياً القوم وابن النطاح وظفها في شعره لما يخدم تداعيه في ممدوحه، وكانت قبيلة (بكر) العدنانية، من إحدى الأنساب التي ورد ذكرها عند الشاعر، ومن ذلك قول ابن النطاح مفتخراً بنسبه برباعية من [الطويل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ٣٣)

فَإِنْ يَكُ جَدُّ الْقَوْمِ فَهَرَبْنِ مَالِكٍ فَحَسْبِي فَخْرًا فَخْرُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
وَلَكِنَّهُمْ فَازُوا بِإِرْثِ آبِيهِمْ وَكُنَّا عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلٍ

العرب منذ العصور التي سبقت الإسلام كانوا يفتخرون بالأنساب وانتمائهم القبلي وكانت كل قبيلة تعتز بنسبها وتهتم بإثباته إلى العرب الأصليين من بني (عدنان وقحطان)، كما يعد الفخر بالنسب في المجتمع العربي مكماً لشخصيتها بل أساسها الذي تعتمد عليه في نمط حياتها، (د.أسماء، ١٤٣٣هـ، ص ٦٠) وابن النطاح منحدر من إحدى هذه القبائل العريقة، إذ نلاحظه في هذه الأبيات يستحضر قُرْمُ قَبِيلَتِهِ _ بكر بن وائل _ ووظفوها في الفخر الذاتي؛ وذلك لاعتزازه القبلي ونسبه إليه هذا النسب العريق الذي انحدر منه رسول الله (ﷺ) من جهة، ولما تميزت به هذه القبيلة من العادات الإيجابية كالكرم والأخلاق الحميدة وغيرها الموروثة من أبيهم (عدنان) التي أصبحت سمة لازمة لها مما يستحق الفخر فيها من جهة ثانية، وقال فيها أيضاً من [الكامل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ١٠)

وَإِنَّ وَعِيدَ الْحَيِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى الْمَوْتِ يَرْمِي الرُّوحَ بِالسَّكْرَاتِ
وَمَنْ لَمْ تَكُنْ بَكْرٌ لَهُ فَهُوَ ضَائِعٌ إِذَا الرُّوحُ أَبْدَى أَسْوَاقَ الْخَفَرَاتِ
إِذَا عَدَّتِ الْأَيَّامُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ رَأَيْتَ مَعْدَاً تَحْتَهَا دَرَجَاتِ

يصف الشاعر هذه القبيلة بأنها امتازت ببطولتها حتى اصابته ذيلها الارض ولعل وصفه هذا جاء ليؤكد شجاعة حاملي اسمها -ومنهم ممدوحه أبي دلف- وقوتهم في ركوب الصعاب حد الموت وسكراته، وغير المنتمي إلى هذا المجد العريق يعيش في غيابة الضياع، ثم يأتي بوثيقة تاريخية يشير بها أن أيامها البطولية فاقت أيام (معداً) وبدرجات كثيرة، هنا نلاحظ أن ابن النطاح صنع نوعاً من التناسق الجمالي بين الاستدعاء التاريخي والجو العام للنص فجاءت أبياته معبرة بحق عن تلك القبيلة العز متخذها رمزاً للقوة والنصر، فالشاعر غالباً ما يذكر القبائل العريقة وما تحملها من بطولات ومجدٍ تاريخي كبير ليصل بها إلى ما يريده، ونلاحظه في موضع آخر قد تطرق في احدى قصائده المدحية بحق (خربان بن عيسى) الى قبيلة أخرى كان لها من الشدة والبأس ما تسابق غيرها وهي قبيلة (معد)، مُستشهداً بممدوحه في قوله من [الكامل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ٤١)

مَلِكٌ يَلُوحُ عَلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ	أَثَرُ الْوَفَا وَمَعَاقِدُ التَّجَانِ
لَمْ يَنْقَطِعْ أَحَدٌ إِلَيْكَ بِوُدِّهِ	إِلَّا اتَّقَتْهُ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ
كُلُّ السُّيُوفِ يَرَى لِسَيْفِكَ هَيْبَةً	وَتَخَافُكَ الْأَرْوَاحُ فِي الْأَبْدَانِ
قَالَتْ مَعْدٌ وَالْقَبَائِلُ كُلُّهَا	إِنَّ الْمَنِيَّةَ فِي يَدِي خَرْبَانَ
مَلِكٌ إِذَا أَخَذَ الْقَنَاطَةَ بِكَفِّهِ	وَتَقَت بِشِدَّةٍ سَاعِدٍ وَبَنَانِ

في بداية القصيدة فقد أشار ابن النطاح إلى مثالية ممدوحه؛ بأنه صاحب قيم ومكارم وفضائل أهلتة لأن يكون في هذه المنزلة، ثم أثنى على شجاعته وبأسه اللذين خافهما الأعداء، فخربان إن خاض غمار الوقائع كان الفارس المقدم والمقدام الذي لا يجاريه أحد، فقد أبلى فيها بلاءً حسناً ويشهد على ذلك كل القبائل وما فيها قبيلة معد، في هذا النص نلاحظ كأن الممدوح (جَبَل) يلوح بالحسن والجمال مرة والثانية كأنه مُشيد من قبل عدنان لتحتمي به سائر قبائلها وتهُد به أعدائها الطامعين.

ففي إنتقاء مميز - لقبيلة معد مع القبائل - من قبل الشاعر فضلاً عن لمساته اللغوية عبر عن موقف الممدوح في أبهى صورة، ينظر: (د. سعد، ١٩٩٢م، ص ٣٧-٣٨) ومنح نصه الديمومة والعراقة والأصالة، فالشعر ليس في سلامة الوزن وأداء اللغة فحسب، إنما في تنسيقها وترتيبها وعدم اضطراب نظمها وهلهلة نسجها. ينظر: (الجرجاني، ١٩٦٦م، ص ٢١٣)

ومن استدعاء الشاعر للقبائل نجد ابن النطاح يشيد بـ (تغلب) عن طريق عن طريق اقتتال أركانها وقتلهم لبعضهم قائلاً من [الخفيف]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ١٧)

يَا بَنِي تَغْلِبَ لَقَدْ فَجَعْتُمْ مِنْ يَزِيدِ سُيُوفَهُ بِالْوَلِيدِ

لَو سُيُوفِ سِوَى سُيُوفِ يَزِيدٍ قَارَعَتْهُ لَأَقَتِ خِلَافَ السُّعُودِ
وَأَيْلُ بَعْضُهَا يَقْتُلُ بَعْضًا لَا يَفْلُ الْحَدِيدَ غَيْرُ الْحَدِيدِ
لَو تَلَقَّى الْوَلِيدَ غَيْرَ يَزِيدٍ نَعْدَا ظَاهِرًا عَلَيْهِ الْوَلِيدُ

حفل نص الشاعر باستدعاء قبيلة (وائل) وبطن من بطونها -ربيعة- , ليدل على أبرز شخصياتها - يزيد بن مزيد و الوليد بن طريف الشيباني- والذين حل القتال بينها حتى أنتهى بموت أحدهم بسبب الانتماء الفكري والعائدي الذي حل في ذلك العصر, فوقف الشاعر عند هذه القبيلة إلا للربط بين عمله وأعمالهم في سابق أيامهم التي دلت عليهم أولاً؛ لأن التجربة الشعرية كثيراً ما تكون تعديلاً للواقع الاجتماعي, ومحاولة نقله من الواقع الحقيقي إلى الواقع المنشود, ينظر: (الحاوي، ١٩٨٦م، ج ١، ص ٩٠) وثانياً التقديم الرائع للمتلقى عن قوة النسب العربي وبئس رموزه, فضلاً عن جعلها استدكاراً للحاضر موضعاً وأن كانت بعض شخصيتها من فئات خارجة عن الطاعات الدنيوية كالوليد إلا أن الإرث المجد يبقى لصيقاً بها .

وفي موضع آخر استدعى ابن النطاح كم عظيم من القبائل العربية فضلاً عن سرد بعض أحداثها التاريخية في مدحه للوزير أبي دلف العجلي, حتى وجدناه قد وظف أكثر من قبيلة, ثم استنبط منها معانيها الموروثة من القيم والمثل التي فطر عليها العربي وأعتز بها, كالكرم والنجدة والحلم والصبر والشجاعة وقوة البأس في محاولة منه لتقوية قصيدته وارتقاؤها إلى مكانة الممدوح فقال من [الطويل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ٩-١٠)

مَتَى تَشْتَمِلُ بَكْرٌ عَلَيَّ بِدَارِهَا أَبَتِ وَائِقًا بِالْجُودِ وَالنَّجْدَاتِ
وَفِي أَسَدٍ وَالنَّمْرِ أَبْنَاءَ قَاسِطٍ أَمَانٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْغِيَرَاتِ
وَإِنْ ذَوِي الْإِقْدَامِ وَالصَّبْرِ وَالنُّهَى لِإِخْوَانِنَا ذَهْلٌ عَلَى اللَّزْبَاتِ
وَإِنْ تَشْتَمِلُ قَيْسٌ عَلَيَّ وَتَغْلِبُ أَبَتِ وَائِقًا بِالْمَالِ وَالثَّرَوَاتِ

.....

وَمَا الْفَتْكُ إِلَّا فِي رَبِيعَةٍ وَالْغَنَى وَدَبَّ عَنِ الْأَحْسَابِ وَالْخُرُمَاتِ
وَقَادَ زِمَامَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْهُمْ مَنَاجِيْبُ سَبَاقُونَ فِي الْجَلَبَاتِ
وَقَادُوا جُيُوشًا أَوَّلًا بَعْدَ أَوَّلٍ أَقَرَّ لَهَا عَادٍ بِكُثْرِ أَدَاةِ
إِذَا زَفَّتِ الرِّيحُ الشِّتَاءَ وَزَفَّهَا وَلَفَّحَتْ الْأَرْوَاحَ بِالشَّتَاتَاتِ
رَأَيْتَ مَعَدًا وَالْيَمَانِينَ غَوْدًا بِبَكْرِ مِنَ اللَّأَوَاءِ وَاللَّزْبَاتِ

مَفَاتِيحُ أَبْوَابِ النَّدَى بِأَكْفِنَا فَسْـؤَالُنَا يَدْعُونَ بِالشَّهَوَاتِ
إِذَا هَلَكَ الْبَكْرِيُّ كَانَ ثَرَاثُهُ سَنَانٌ وَسَيْفٌ قَاضِبُ الشَّفَرَاتِ

تبقى القبائل العربية ورموزها موضع التقاخر عند العربي الأصل لذا نرى قصائد ابن النطاح بصورتها التراثية انعكاساً عن اعتناق روحه لروح الماضي المجد، لذا سار باستدعائه لها وأحداثها التاريخية على منهج الأقدمين من حيث المنهج والمعاني التي استمد من القيم العربية العريقة، فنهل منها وترنم بها في شعره وبالع في وصف ممدوحيه، حتى وجد المتلقي أن هذا الابيات قد قيلت بحق رجال ملكوا من قيم الشجاعة والفروسية والجود ما ألهم لأن يكونوا قادة بحق، فهم قد بذلوا ما بوسعهم للدفاع والحفاظ على ثغور وحدود الدولة حد التأكيد ناهيك عن رومه بالتكسب والتقرب من الآخر.

المبحث الثاني: استدعاء الشخصيات التاريخية:

تعد الشخصيات التاريخية رافداً كبيراً من الروافد الموضوعية للشعر وأحد ينابيعه الثرة، وإن لكل أمة رموزها التي لها الأثر الكبير في نفوس أبنائها ينهلون منها القيم العريقة، والشاعر حين يستدعيها لاستلهاام دلالاتها ورمزيتها بطريقة إبداعية تؤمن لها ديمومتها ولربط الماضي بالحاضر، فضلاً عن إقامة علاقة جدلية متبادلة بين الشخصية وما تنطوي عليه من رمزية الذي يريد الشاعر إلصاقها بعمله الإبداعي بهدف التعبير عن شيء ما وبين المتلقي الذي اكتتزت بذاكرته كل أبعادها. ينظر: (نور ، ٢٠١٠م، ص ٢٣)

الشخصيات التاريخية ((ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد -على امتداد التاريخ- في صيغ وأشكال أخرى))، (د. علي عشري، ١٩٩٧م، ص ١٢٠) وتوظيفها يعتمد على الشاعر وثقافة المتلقين، فمن هنا وضع أدونيس قاعدة ينص بها عند عملية النتائج على وجوب فهم الأول ((لتراثه ووعيه أيضاً بذاته ومجتمعه وعصره، لينتقي ما يراه دالاً ومتاغماً مع بنيته النصية))، (أدونيس، ١٩٧٣م، ص ٣١٣) فاستدعاء المبدع الشخصية التراثية ((يعتمد على إقامة جدل متوتر بين علاقات الغياب وعلاقات الحضور داخل النص، في ذاكرة المتلقي))، (أحمد ، ١٩٨٨م، ص ٣٨٨) فمن هنا يستطيع أن ينتقل الشاعر بها إلى فكرته وحاجته وقد لبي واستساغ الآخر طموحاته.

والشاعر بكر بن النطاح استلهم بعض الشخصيات ودلالاتها لتمنح نصه حمولة فكرية، ينظر: (الزهراني، ٢٠٢٢م، ص ١٤٧) فضلاً عن التعبير عن رؤيته الكلية للشخصية التراثية والنهل من معينها.

ومن الشخصيات وردت في شعر ابن النطاح شخصية النبي (أيوب) (عليه السلام) التي كانت رمزاً للإنسان الصابر المحتسب لله، وربط ذاته بها لقضية يريد إيصالها للآخر، فقال من [الكامل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ٧)

هَلْ يُبْتَلى أَحَدٌ بِمِثْلِ بَلِيَّتِي أَمْ لَيْسَ لِي فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبُ
قَالَتْ عَنَانٌ وَأَبْصَرْتَنِي شَاحِباً يَا بَكْرُ مَا لَكَ قَدْ عَلَاكَ شُحُوبُ
فَأَجَبْتُهَا يَا أُخْتُ لَمْ يَلِقَ الَّذِي لَأَقِيْتُ إِلَّا الْمُبْتَلى أَيْوُوبُ

تكشف مقدمة النسيب عند الشاعر عن أزمة نفسية بين الذات والنموذج المثال -الحبيبة-، إذ استهل الشاعر نصه بأسلوب الاستفهام الموجه إلى الآخر؛ ليكشف عما ألم به، فضلاً عن إثارة وانتباه القارئ والمتلقي صوب قصيدته التي يريد إنشادها وإيصال صوتها للآخر الغائب، من خلال توظيفه لفظة (يبتلى) وتكرارها بعدة مواضع وبصيغ مختلفة، وكأن هذا الاستهلال مفتاح الولوج إلى عالم القصيدة، وكذلك أن الصيغة الاستفهامية (هل يُبتلى؟) قد شكلت دلالات نفسية انفعالية استعملها لاستيعاب الزخم النفسي الذي أثاره بسبب الحبيبة، والنص كله ينطوي على مضمونٍ حوارِي (الشاعر / المرأة) والذي أفصح عن أسلوبٍ إبداعِي رائع:

قَالَتْ ← يَا بَكْرُ مَا لَكَ قَدْ عَلَاكَ شُحُوبُ

فَأَجَبْتُهَا ← يَا أُخْتُ لَمْ يَلِقَ الَّذِي لَأَقِيْتُ إِلَّا الْمُبْتَلى أَيْوُوبُ

فالقصيدة كلها حكايةٌ يكللها الحوار والحدث، بلغةٍ عاطفيةٍ عميقةٍ تجذب الآخرين إلى جمالٍ سحرها، فكلما كان ((الشعر أقرب إلى طريقة القصّة في سرد الانفعالات والأحاسيس المتتابعة في أثناء التجربة، وتصوير جزئيات الشّعورات والتّساوِير المصاحبة لها ... كان أسرع في إثارة الوجدانيات المماثلة في شعور الآخرين)) (سيد قطب، ٢٠٠٨م، صفحة ٥٧)، ثم عمق هذا المشهد الحوارِي بآية قرآنية في البيت الأخير استمدّها من قوله تعالى: ((وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الصُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) [الأنبياء ص ٨٣]، لجعل النص أكثر تلاحماً وجمالاً، علاوة على ذلك ليخدم قصيدته وتلبية مقتضيات تجربته وتعزيز المعني المراد إيصاله للآخر وهو تصوير حالته بفقد وفراق من يحب.

وفي موضع آخر استلهم الشاعر ثلاث شخصيات تاريخية لسد منزلة صديقه المرثي وهم: (حاتم الطائي وكعب وقيس بن عاصم)، وهو يفضلهم عليهم على سبيل المبالغة بأنّ كرمه فاض كرمهم، فقال من [الطويل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ٣٨)

وَحَدَّثَ عَنْهُ بَعْضُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ رَأَتْ عَيْنُهُ فِيمَا تَرَى عَيْنُ حَالِمٍ
كَأَنَّ الَّذِي يَبْكِي عَلَى قَبْرِ مَعْقِلٍ وَلَمْ يَرَهُ يَبْكِي عَلَى قَبْرِ حَاتِمٍ
وَلَا قَبْرَ كَعْبٍ إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَلَا قَبْرَ حِلْفِ الْجُودِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
فَأَيَّقَنَتْ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مَعْقِلاً عَلَى كُلِّ مَذْكُورٍ بِفَضْلِ الْمَكَارِمِ

يطفح النص بالحزن والأسى والشاعر نادى بمرثيته لأحد أصدقائه وهو (معقل بن عيسى)، وهو يخلد قيمة الكرم عنده عن طريق استدعاء الشخصيات التاريخية -حاتم الطائي وكعب وقيس بن عاصم- التي تعد مثال الإنسان العربي الكريم، وقد أخذ منها بن النطاح موضوعاً يفصح فيه عن كرم صديقه وعطائه الفياض، وكيف كان ملاذ المعروف، وما هبَّت أيادي البذل والعطاء مثله، حتى أيقن كل اليقين بأن الله فضلُهُ على من خُلدت مكارمهم في صفحات التأريخ، فالشاعر هنا يقدم انعكاس الفجيرة على الذات بصورة صادقة صادرة من مشاعر تفيض ألماً وحسرة على الآخر، نرى أن إخلاصه وصفاء الحب للآخر هما من فرضا بحكمه المُبالغ على عدم وجود ما يقابله في قيم الجود والكرم، وفي هذا الباب قال الدكتور مصطفى الرافعي: المراثي تقال على الوفاء، ينظر: (الرافعي، ج ٣، ص ٧٢) فهنا جمع الشاعر ((بين روعة الخيال وعمق العاطفة وحرارة المشاعر مضافاً إليها جمال الحقيقة وصدق الواقع الذي تعكسه الأخيصة الرثائية الرائعة)). (د. بشري، ١٩٧٧م، ص ٥)

ولجأ ابن النطاح إلى استدعاء شخصيتين إيجابيتين (معن بن زائدة الشيباني)، و(عبدالله بن خلف)^(*)، وأخرى سلبية (إبليس) في تائيته قائلاً من [الكامل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ١٢)

وَأَنِّي عَلَى مَا فِي يَدِي مِنْ حِبَائِهِمْ	كَمَعْنٍ وَمِثْلِي طَلَحَةُ الطَّلَحَاتِ
فَمُنْيَةُ قَوْمِي أَنْ أُخْلَدَ فِيهِمْ	وَمُنْيَةُ أَعْدَائِي نَفَادُ حَيَاتِي
أَنَا الشَّاعِرُ الْمُثْمَلِي عَلَى أَلْفِ كَاتِبٍ	وَيَسْبِقُ إِمْلَائِي سَرِيعُ فُرَاتٍ
فَأَبْدِي وَلَا أُرْوِي لِخَلْقٍ قَصِيدَةٍ	وَأَحْسَبُ إِبْلِيساً لِحُسْنِ رَوَاتِي

ابن النطاح هنا أصيب بعدوى الكرم والجود، فقد نقلته إليه يد ممدوحه التي عهد عنها السخاء، وبذلك أصبح طبعه كريماً ك (معن بن زائدة وطلحة الطلحات)، فجاد بأعطية الممدوح شعراً وهذا كل ما يملكه، لكنه سرعان ما تحول إلى شخصية سلبية -إبليس- للتذلل على نظرة أعدائه وحاقديه إليه.

إن المديح التكسبي يجنح في الكثير من الأحيان عن جانب الحق، لكنه يستوحي فضائل الممدوح ببساطة وصدق، ينظر: (الغزي، ٢٠٠٢م، ص ٩٣) فيبقى ((يعبر عن موقف الاحترام ونظرة الإعجاب والاعتزاز، ويعبر عن موقف الاقتداء، والاهتداء والتمثل))، (القيسي، ١٩٧٩م، ص ٨٣) ففي هذا المعنى وفي ذات القصيدة استدعى الشاعر شخصية (كسرى) في وصف قوة وبأس قبيلة ممدوحه التي فيها من الرفعة والشرف ما

(*) طَلَحَةُ الطَّلَحَاتِ: هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي: أحد الأجواد المقدمين، كان أجود أهل البصرة في زمانه، ذهبت عينه بسمرقند، وكان يميل إلى بني أمية فيكرمونه، وولاه زياد بن مسلمة على سجستان، فتوفي فيها والياً. (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج ٣، ص ٢٢٩)

يعجب، فضلاً عن تعميق فكرته المراد اصالتها للآخر - الممدوح / المتلقي - بأجمل حلة فقال: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ١٠)

إِذَا هَلَكَ الْبَكْرِيُّ كَانَ ثَرَاؤُهُ سَنَانٌ وَسَيْفٌ قَاضِبُ الشَّفَرَاتِ
وَلَمْ يَدْعُوا مِنْ مَالٍ كَسْرَى وَجُنْدِهِ عَلَى الْأَرْضِ شَيْئاً بَعْدَ طَوْلِ بَيَاتِ
إِذَا لَمْ يُسَلِّطْنَا الْقَضَاءَ عَلَى الْعِدَى مَنْوَا وَابْتَلَوْا مِنْ خَوْفِنَا بِخَفَاتِ

جاءت قصائد ابن النطاح بصورتها التراثية انعكاساً لما في داخله، فقد حاول استدعاء بعض الشخصيات التاريخية واقتناص صفاتها وأبعادها ودلالاتها؛ لإغناء نصوصه وأفكاره، ولاحظنا في بعض المواضع مال إلى أسلوب المبالغة؛ لتعميق الإطار العام للنص والمعنى الدلالي من جهة ومنح النص الإبداعي الأصالة والديمومة من جهة أخرى نظراً لما لها من مواقف إيجابية ومشرفة شهد لها التاريخ، وبالأخير ما هي إلا وسيلة استعان بها للوصول إلى غايته المبتغاة.

المبحث الثالث: المكان التاريخي:

المكان بصورة عامة هو أحد عناصر النص الأدبي، فهو الأرض الخصبة لدى الشاعر، يعبر بواسطتها عما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس، راسماً أبعاده الذاتية وما تحمله من دلالات مختلفة، والمكان التاريخي ((هو مركز لانطلاق الوقائع)) (هبة)، ويقوم البعد التاريخي فيه على ((العلاقة الجدلية ما بين المكان في الزمن الماضي والمكان في الزمن الحاضر المعاصر)) (هبة).

وللمكان التاريخي ((أهمية في عملية الإبداع الفني يتخذها الشاعر موضوعاً لتجسيد الأفكار والرموز والحقائق المجردة وتقريبها من الواقع... لخلق نتاجاً فنياً يجذب الآخرين))؛ (نصير، ٢٠١٨م، ص ٢٤) لأن العمل الأدبي ((حين يفقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وأصالته))، (باشلر، ١٩٨٤م، ص ٥) وهو ((جزء من تكوين الإنسان، لذلك بقي المكان لصيقاً بالتاريخ، وبالحضارة وشاهداً حسيّاً على التطور والتغير وسجلاً أميناً لأفعالنا، وأفعال من سبقونا)). (ياسين، ١٩٨٦م، ص ١٥٩)

والشاعر العباسي استعان بالتراث البشري -الأماكن التاريخية- التي بقيت ((هويتها التاريخية تزيدها أصالةً، مع إيغالها في الزمن))؛ (حمادة، ٢٠٠٩م، ص ٥٦) لأثراء أفكاره وتنمية قدراته الإبداعية من خلال النهل من معينها في بناء الحدث، فمن خلال القراءة والتقصي في قصائد ابن النطاح وجدناها قد تجلت في تائيته فقط وهي على نوعين.

المحور الأول: الأماكن التاريخية الدينية.

وهي الأماكن التي تحمل القداسة والتي تتخذ للعبادة ومن أهم الأماكن القدسية في الاسلام بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى ثم بيوت الله جميعها ومساجده، وتعد الأماكن الدينية من ((أبرز الرموز الدالة على وحدة الجماعة وتماسكها، إذ تتخذها مركزاً لفعاليتها في الحياة))، (هبة) فهي تعبر ((عن الصلة بين السماء والأرض، ومدى وعي الإنسان بأهمية هذه الصلة وعلاقتها بوجوده، ومن هنا بدأ الترابط بين الحس الديني والحس المكاني في نفس الإنسان، فانعكس في بناء الأماكن الدينية وإبراز معالمها الفكرية والجمالية))، (هبة) فالمكان الديني يلجأ إليه الشاعر لرصد الجانب الايجابي منه فضلاً عن اكتناز سماته الجمالية وقيمتة الدلالية، لذلك نرى ابن النطاح قد جعل المكان أحد المضامين التاريخية التي تثري نصه الشعر وتمنحه الديمومة، ومن الأماكن التي استلهمها في مقدمة تائيته: (عرفات، ومنى، والبيت العتيق) فيقول من [الطويل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ٩)

وَلَيْلَةَ جَمْعٍ لَمْ أَبْتَ نَاسِيًا لَكُمْ	وَحِينَ أَفَاضَ النَّاسُ مِنْ عَرَفَاتٍ
وَلَمْ تُنْسِنِكَ الْبَيْضُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى	وَقَدْ رُحِنَ ارْسَالًا إِلَى الْجَمَرَاتِ
فَطَوَّفَنَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَيَالِيَا	وَزُرْنَ فِنَاءَ الْبَيْتِ وَالْعَرَصَاتِ

الشاعر هنا يؤكد في مستهل قصيدته بأنه لم ينسي ممدوحه حتى وهو يحيي أهم أركان الإسلام وشعائره ألا وهو الحج، فهو لم يذهب عن ذاكرته حتى في أعظم أركانه-عرفات- حيث الزخم الإيماني فيه، ولا الزخم الانساني عند رمي الجمرات، ثم يسترسل في قصيدته وصولاً إلى المدينة المنورة التي يوجد فيها قبر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم):

فَرَوَدَنِي شَوْقًا إِلَيْكَ وَحَسْرَةً	عَلَيْكَ إِلَى مَا بِي مِنَ الْحَسَرَاتِ
ذَهَبْتَ بِدِيْبَاجِ الْجَمَالِ وَوَشِيهِ	وَصِرْنَ بِمَا خَلَفْتَ مُحْتَفِيَاتِ
تَطَاوَلَ لَيْلِي بِالْحِجَازِ وَلَمْ أَزَلْ	وَلَيْلِي قَصِيرٌ آمِنُ الْغَدَوَاتِ
فَيَا حَبَّذَا بَرُّ الْعِرَاقِ وَبَجْرَهَا	وَمَا يُجْتَنَى فِيهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
كَفَى حَزْنًا مَا تَحْمِلُ الْأَرْضُ دُونَهَا	لَنَا مِنْ ذُرَى الْأَجْبَالِ وَالْفَلَوَاتِ
أَبَا مَرْيَمَ قِيلُوا بِعَسْفَانَ (*) سَاعَةً	وَرُوحُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ

(*) عسفان: قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تهامة. (الحموي، ١٩٩٥م، ج ٤،

وَمُرُوا عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّسْلِيمِ وَالصَّلَاةِ

لكن هنا يؤكد الشاعر لما ذكره آنفاً بأنه لا يستطيع هجر من أحب قلبه حتى إنه من كثرة شوقه وحسراته عليه ذهب بديباجة وجهه فأصر على ترك الحجاز قاصداً العراق، ويوقف الحزن الذي ألم به في أيام الحج للقاء من يحب، فالشاعر هنا مهموم ((بذكرات الأمكنة التي شهدت قصص حبه، فكان يسير به الحنين إلى كل مكان، فنشأ نوع من الاغتراب الحاد الذي يقرن من حيث لذعته القاسية من الغربة عن الأوطان))، (عزيز ، ص ١٢٨) ثم يوصي أبا مريم ومن معه أن يقصدوا قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ويكثرُوا عليه من الصلاة والتسليم، فهي جزء من الإيمان، وزيارة قبره الشريف سنة مؤكدة فهي ((من أعظم القربات، وأرجى الطاعات))، (الشحود، صفحة ٢٤/٦٤) عند الله تعالى.

فالأماكن الدينية - البيت العتيق، وعرفة، ومنى، وقبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) - لها قدسيته داخل الحدود الإيمانية عند الإنسان المسلم والتي ظلت فضاء قائماً يعني الكثير ويكشف عن معاني كثيرة، فهو يعظمها ويضفي إليها صفي الجلل والجمال، وكل هذه الفضاءات تُحيي الذاكرة وت شحن النفس بالإيمان، فضلاً عن أنها تؤانس النفس وتثير فيها الأمن والراحة والسرور، (حمادة ، ٢٠٠٩م، ص ٥٦) فالشاعر استلهمها ليعمق فكرته ويقوي قصيدته وقصديته.

المحور الثاني: الأماكن التاريخية الحربية.

وهي الأماكن التي دارت على عليها وقائع معينة ثم خلدتها الأمم المنتصرة، مثل معركة ذي قار خلدها العرب ومعركة بدر خلدها العرب المسلمون ومعركة طروادة خلدها الاغريق وغيرها، وهي ((مصدر من مصادر تمويل التجربة بعناصر نشاط ، وفعلٍ متنوعة ، يعمل النص الشعري على تشكيل أجزاء مهمة من كيانه النصي ، استناداً إلى معطياتها ، وما تفرزه من قيمٍ أثر تفاعلها الجوهري مع أكثر عناصر التجربة خصوصية وحرارة ، بحكم ما تتطوي عليه الذاكرة من طاقات تاريخية واجتماعية ونفسية متراكمة متنوعة الشكل والقيم والتأثير))، (محمد صابر ، ٢٠٠٠، ص ٣١) لذا نجد الشاعر دائماً يلجأ إليها ليثري أفكاره الفنية ويعزز قدرته الشعرية، وفي قصيدة لابن النطاح، يصف فيها معركة خزاز^(*)، قبل الإسلام أحد أيام (معد) جد ممدوحه وبني حجر الكندي، مركزاً على مظاهر الزهو والعنفوان والفخر الجماعي ناشداً من [الكامل]: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ١٠)

وَيَوْمَ خَزَارٍ أَقْطَعُوا خَيْلَ تَبَعٍ وَسَاقُوا إِلَيْهِ الشَّرَّ فِي الْفَرَطَاتِ

(*) يوم خزاز: وهو من أيام العرب قبل الاسلام لمعد على بني حجر الكندي، وخزاز جبل ما بين البصرة إلى مكة. ينظر: (الحموي، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٣٦٥)

لَهُمْ خُطِطُ مِنْهَا الْعِرَاقُ بِأَسْرِهَا تَوَارِثُهَا الْآبَاءُ خَيْرَ رِثَاتِ
وَأَوَّلُ مَا اخْتَطُوا الْيَمَامَةَ وَاحْتَوُوا قُصُوراً وَأَنْهَاراً خِلَالَ نَبَاتِ
وَعَاجَتِ عَلَى الْبَحْرَيْنِ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ حَمَتَهَا بِأَعْلَامٍ لَهَا وَسِمَاتِ
وَهُمْ مَنَعُوا مَا بَيْنَ حُلُوانَ غَيْرَةٍ إِلَى الدَّرْبِ دَرَبَ الرُّومِ ذِي الشُّرَفَاتِ

ثم يسترسل بقصيدته موظفاً المكان الحربي -عسقلان- مالى جوه بالعرفوان القوة توظف في نفس الآخرين
شجاعة ممدوحه وأقدامه في المعركة فيقول: (الضامن، ١٩٧٥م، ص ١١)

وَصَبَّحَ صُباحاً عَسْقَلَانَ بِعَسْكَرِ بَكَى مِنْهُ أَهْلُ الرُّومِ بِالْعَبْرَاتِ
سَعَى غَيْرِ وَإِنْ عَنِ عَقِيلٍ وَمَا سَلَ وَلَمْ يَعُدْ عَنْ حِرْمَانِ فَالسَّلَوَاتِ
فَبَيَّتَهُمُ بِالنَّارِ حَتَّى تَفْرَقُوا عَلَى الْحِصْنِ بِالْقَتْلِ أَشَدَّ بَيَاتِ

مما تقدم نجد انصراف الشاعر توظيف مضامين التراث التاريخي ما هو إلا رد الثناء ليد امتدت إليه
بالكرم والفضل؛ لأنه لا يمكن أن يرد الفضل إلا من خلال مدح يصدر عن شاعر مثله، فكان معظم تركيزه
إلى إبراز مزايا ممدوحيه وفضائلهم، وحاول إثباتها من خلال جودة المعاني ووقوة الألفاظ فضلاً عن تشبيهه
بمن سبقوه من الآباء.

أما قيم الشاعر كانت صادقة اتجاه ممدوحيه فجاء وصفه لهم مصيباً، إذ جعله الأمثل في قصائده وإثبات
هذه الصفات والقيم عليه وفي صورة متصلة مرتبطة بالفخر الذاتي والقبلي.

الخاتمة

بعد حمد الله تعالى، اختتمنا هذا البحث والذي اتخذنا من (تجليات المضامين التراثية التاريخية في شعر
بكر بن النطاح) عنواناً له، وقد توصلنا بها إلى جملة من الأفكار والنتائج نتلخص بما يأتي:

١. الشاعر بكر بن النطاح من الشعراء الجيدين في عصره فهو متمسك بعروبته، واتضحت ذلك من
خلال افكاره وإمامه بالمضامين التراثية التاريخية التي جسدت الحس القومي، وغالباً ما كان الشاعر
العربي يتقرب من تراثه والنهل منه؛ لتأصيل هوية أمته وإثبات انتمائه لها وبحضارتها العريقة على مر
العصور.

٢. شكّلت المضامين التراثية حيزاً واسعاً في شعره، تحسب له مخزوناً ثقافياً تاريخي رائع، إذ جاءت
متنوعة ومتعددة الاتجاهات -قبائل، أحداث، شخصيات تاريخية، أمكنة تاريخية- أمدته بأفكار ومعاني
مختلفة.

٣. تأثره الشديد بالموروث التاريخي الذي وجدناه في قصائده مما يدل على وجود الحب لأرث الأجداد.
٤. جمعت لغته الشعرية مع استدعاء التراث التاريخي (القوة والفصاحة) جذبت الآخرين، فضلاً عن ثقافته وبراعته العلمية التي عكست غزارة نتاجه الابداعي والفكري.
٥. عاش الشاعر اللحظة الانتقالية للشاعر الأموي (مالك بن الريب) من الصلابة إلى شاعر له مكانته الخاصة لأحد القادة في الدولة العباسية، إلا أنه كان أغلب أشعاره تكسبية فضلاً عن رغبته من التقرب من صاحب السلطة والجاه عكس الأول الذي ترفع عنها.
٦. جاءت أكثر أشعاره مدحية مستلهماً التراث التاريخي لدعم فكرته وتقويها، ودعم ما يرنو إليه.
٧. لم يقتصر من النهل التاريخي في غرض المديح بل جاء بشخصيات وأحداث خدمت عرضي الغزل والثناء.
٨. استلهم المكان التاريخي اذ ذكر الأماكن التاريخية الدينية الى جانب الأماكن الحربية وعكس لنا من خلالها محمولاته القصصية ومرجعياته التاريخية؛ لأنه يعد الأرض الخصبة التي يرسم عليها الشاعر أفكاره.
- وأخيراً أدعوا من الله أن نكون قد وفقنا في هذا البحث، وأعطيناه الصورة الكاملة على ان الكمال لله وحده، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وصحبه أجمعين.

Sources and References

- Abu al-Faraj al-Isfahani. (undated). Al-Aghani (2nd edition). (Sameer Jaber, editor) Beirut: Dar al-Fikr.
- Ahmed Ali al-Baghdadi. (2002). History of Baghdad (1st edition). (Dr. Bashar Awad Marouf, editor) Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
- Ahmed Faris al-Qazwini. (1997). Al-Sahibi in the jurisprudence of the Arabic language and its issues and the traditions of the Arabs in their speech (1st edition).
- Ahmed Mujahid. (1988). Forms of poetic intertextuality (a study in the use of heritage characters). Egypt: Egyptian General Book Authority.
- Adonis. (1973). The constant and the variable, a study of creativity and following among the original Arabs. Beirut: Dar al-Saqi.
- Asmaa Saber. (1433 AH). Heritage contents in the poetry of Abu al-Ala al-Ma'arri (1st edition). Amman: Ghaida Publishing and Distribution House.
- Ismail Hammad al-Farabi. (1987). Al-Sihah Taj Al-Lugha and Al-Sihah Al-Arabiyya (4th edition). (Ahmad Abdul Ghafour Attar, editor) Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayan.
- Elia Al-Hawi. (1986). In Literary Criticism (5th edition). Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Lubnani.
- Bushra Al-Bustani. (undated). The Aesthetics of Memory and the Dialectic of Presence, a Reading in the Eye of Al-Samma Al-Qushayri.
- Bushra. (1977). Elegy in Pre-Islamic Poetry and Early Islam. Baghdad: Local Administration Press.
- Jaber Ahmed Asfour. (1982). The Concept of Poetry (A Study in Critical Heritage). Arab Center for Culture and Science.
- Jabour Abdul Nour. (1979). Literary Dictionary (1st edition). Beirut.
- Juma Hussein Al-Jubouri. (1433 AH). Heritage Contents in Andalusian Poetry in the Eras of the Almoravids and Almohads (1st edition). Amman: Safa Publishing and Distribution House.
- Hatem Saleh Al-Damen. (1975). Poetry of Bakr bin Al-Nattah. Baghdad: Al-Maarif Press.
- Hamada Turki. (2009). Aesthetics of place in Abbasid poetry since (301 AH to 656 AH). PhD thesis. College of Education - Tikrit University.
- Al-Khalil Ahmed Al-Farahidi. (undated). The Book of the Eye. Dar and Library of Al-Hilal.
- Khair Al-Din Al-Zarkali. (2002). Al-A'lam (1st edition). Dar Al-Ilm Lil-Malayan.
- Al-Raghib Al-Isfahani. (1420 AH). Lectures of writers and dialogues of poets and rhetoricians (1st edition). Beirut: Dar Al-Arqam bin Abi Al-Arqam Company.
- Zain Al-Din Muhammad Al-Razi. (1999). Mukhtar Al-Sajjaj (5th edition). (Youssef Al-Sheikh Muhammad, investigator) Beirut: Al-Maktaba Al-Asriya - Al-Dar Al-Namuthajiyah.

- Saad Maslouh. (1992). Style (Statistical Linguistic Study) (3rd edition). Tunis: World of Books.
- Sayyid Qutb. (2008). Literary Criticism, Its Origins and Methods. Cairo: Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution.
- Salah Al-Din Khalil Abi Al-Safadi. (2000). Al-Wafi bil-Wafiyat. (Ahmad Al-Arnaout, and Turki Mustafa, editors). Beirut: Dar Ihya Al-Turath.
- Abdul Malik Murtad. (2005). See: Semiotic Analysis of Poetic Discourse. Damascus: Publications of the Arab Writers Union.
- Aziz Al-Sayyid Jassim. (undated). Alienation in the Life and Poetry of Al-Sharif Al-Radi. Beirut: Dar Al-Andalus.
- Ali Jawad Al-Taher. (1962). Articles by Ali Jawad Al-Taher. Baghdad: Iraqi Writers Union Press.
- Ali Abdul Aziz Al-Jurjani. (1966). Mediation between Al-Mutanabbi and his Opponents. (Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Investigator) Cairo: Issa Al-Babi Al-Halabi Press.
- Ali Ashri Zayed. (1997). Summoning Heritage Figures in Contemporary Arabic Poetry. Cairo: Dar Al Fikr Al Arabi.
- Ali Nayef Al Shahood. (undated). Encyclopedia of Response to Contemporary Intellectual Schools 1-29.
- Awad Kazim Al Ghazzi. (2002). Qais bin Al Haddadiyya (Objective and Artistic Study). Master's Thesis. College of Education - Al Qadisiyah University.
- Gaston Bachler. (1984). Aesthetics of Place. Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
- Fares Ahmed. (1979). Language Standards. (Abdul Salam Muhammad Haroun, Editor) Lebanon: Dar Al Fikr for Printing and Publishing.
- Majdi Wahba. (1974). Dictionary of Literary Terms. Beirut: Lebanon Library.
- Muhammad Zaki Al Ashmawi. (1980). Philosophy of Beauty in Contemporary Thought. Beirut: Dar Al Nahda Al Arabiyya for Printing and Publishing.
- Muhammad Saber Obeid. (2000). The Poetic Imagination (1st Edition). Baghdad: Publications of the Iraqi Writers Union.
- Muhammad Abed Al-Jabri. (1991). Heritage and Modernity Studies and Discussions (1st Edition). Beirut: Center for Arab Unity Studies.
- Muhammad Muhammad Al-Zubaidi. (undated). Taj Al-Arous from the Jewels of the Dictionary. (A group of investigators) Dar Al-Hidaya.
- Muhammad Makram Al-Ansari. (1414 AH). Lisan Al-Arab (3rd Edition). Beirut: Dar Sadir.

- Mustafa Sadiq Al-Rafei. (undated). History of Arab Literature. Dar Al-Kitab Al-Arabi.
- Mutair Saeed Al-Zahrani. (2022). Summoning Characters in the Poetry of Abu Nawas. Journal of Rafidain Literature.
- Naseer Abdul-Hay. (2018). Implications of the Self in the Poetry of Al-Sharif Al-Radi. College of Education for Humanities - Tikrit University.
- Naseer Abdul-Hay. (2023). Cultural References of Early Poets in the Abbasid Era - An Analytical Study. PhD Thesis. College of Arts - Tikrit University.
- Nour Azzam. (2010). Heritage contents in Al-Sharif Al-Radi's poetry. Master's thesis. College of Education - Tikrit University.
- Nouri Hamoudi Al-Qaisi. (1979). The writer and commitment. Baghdad: Dar Al-Hurriyah for Printing.
- Hiba Wissam. (undated). Significance of place (religion, history and reality). Al-Zaman Newspaper, <https://www.azzaman.com>.
- Yassin Al-Naseer. (1986). The problem of place in the literary text (1st edition). Baghdad: General Cultural Affairs House.
- Yahya Ali Al-Tabrizi. (undated). Explanation of the Diwan Al-Hamasa. Beirut: Dar Al-Qalam.